٤

مؤسسة دار الحكمة للثقافة والعلوم الإسلامية

مركز مدارك للتنمية والدراسات الإسلامية

البعد الاخلاقي في نهضة الامام الحسين (ع)

الشيخ زهير المياحي

1434هـ - 2013م

البعد الاخلاقي في نهضة الامام الحسين (ع)

نهضة الإمام الحسين (عليه السلام) ليست مجرد حدث تاريخي بل هي حركة إنسانية تحمل في جوهرها بُعدا أخلاقيا عظيما. فقد جسّد الإمام الحسين أسمى القيم الإنسانية من التضحية، والعدل، والإيثار في سبيل الحق، ورفض الظلم والطغيان. كان البعد الأخلاقي في نهضته حافزا لإصلاح المجتمع وإحياء المبادئ الإسلامية الصحيحة التي حاولت السلطة الظالمة آنذاك تشويهها. جاءت نهضته لتؤكد أن الوقوف مع الحق يتطلب شجاعة وتضحية، وأن الأخلاق هي أساس كل نهضة حقيقية. يهدف هذا البحث إلى تسليط الضوء على البعد الأخلاقي في نهضة الإمام الحسين ودوره في إحياء الضمير الإنساني.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله الطيبين الطاهرين المظلومين ولعنة الله على أعداهم أجمعين الى يوم الدين.

قال الله سبحانه وتعالى:

(وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا ۚ بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ)[1].

أكد أئمة أهل البيت (عليهم السلام) على شيعتهم بأحاديث كثيرة يصعب احصاؤها والاحاطة بها على احياء ذكرى واقعة كربلاء التي انتصر فيها الحق على الباطل مع قلة العدد وخذلان الناصر، وبذلك صارت رمزا لانتصار الدم على السيف والمال، فقد أراد الطغاة والمنحرفون بإغراء المال وبطش السيف ان تموت هذه الأمة المرحومة، وتنسى دينها العظيم وتعاليمه القويمة ومثله الرفيعة وأخلاقه الفاضلة، وترجع في غفلتها نحو جاهليتها العمياء، لتتخذ من الطغاة أصناما تعبدهم من دون الله تعالى، وتجعل منهم أئمة يقودونها الى النار، لكن واقعة الطف المضمخة بالدماء الزكية كانت صرخة مدوية أيقظت ضمير الأمة ونبهتها الى ما هي عليه من سوء، بل هزت عروش الظالمين وسلبتهم شرعيتهم التي تستروا بها، وصبت عليهم اللعنة والنقمة أبد الآبدين، وعادت دعوة الدين حية تستقطب ذوي السعادة والتوفيق من أجل أن يحملوها ويرعوها، ويبلغوها الأجيال جيلا بعد جيل، لتبقى كلمة الحق ظاهرة تقوم بها الحجة على الناس، ولا يقولوا انا كنا عن هذا غافلين.

وقدم نتيجة ذلك الدماء الزكية والتضحيات العظيمة، فإن شيعته ومحبيه قد واصلوا التحدي منذ الأيام الأولى لوقوع الفاجعة والى يومنا هذا بإصرارهم على احياء تلك الذكرى المقدسة بأبعادها المأساوية والعقائدية والاخلاقية الفاضلة وتذكير الأمة بها وبرموزها الشامخة وبجرائم الطغاة والمنحرفين ملبين نداء نصرته واستغاثته الذي لا يزال يأخذ بمجامع قلوب المؤمنين، فبالإضافة الى العامل الرباني الذي جعل للحسين (ع) خصوصية في نفوس المؤمنين حيث نلاحظ أنه مهما ذكر الحسين (ع) فان النفس لا تمل من ذكره بل نلاحظ ان التفجع يزداد كلما ازداد الانسان التصاقا به، وحضورا لمجالسه، فبالإضافة الى هذا نجد أن سبب بقائها وتجددها ما تقدمه قضية الحسين عليه السلام ونهضته المباركة من أثر فكري على مختلف المستويات بالنسبة للإنسان لاشتمالها على ابعاد متعددة، فالعارف والسالك الى الله يجد فيها أوضح الوسائل لإرشاده وايصاله الى الله (سبحانه وتعالى)، والسياسي يجد فيها قمة المناورات السياسية والنضج السياسي، والشجاع يرى فيها الملحمة الخالدة في الشجاعة والبطولة، وهكذا في كثير من ميادين المعرفة نجد ان نهضة

[1]. (آل عمران آية ١٦٩)

الحسين تشكل معلما أساسيا في ذلك الميدان، وهناك بعد لا بد من الاشارة اليه ومحاولة التعرف عليه، وهو البعد الاخلاقي في حركة الامام الحسين (ع) والحديث عنه، ولا يمكن حصر جميع القيم الاخلاقية التي مارسها الحسين (ع) وثبتها من خلال نهضته المباركة، ولكن يمكن الاشارة الى اهمها والتي لا غنى لأي مجتمع عن الأخذ بها للوصول الى الرقي والتقدم والسير وفق المنهج الرباني الذي أراده للبشرية وهو المنهج الاسلامي، المستمد من القرآن الكريم، واخلاق أهل البيت عليهم السلام، الذي ازدان بالقصد والاعتدال، أصالة المبدأ، وسمو الغاية، وحكمة التوجيه، وحسن الملاءمة لمختلف العصور والأفكار.

وهو المنهج الفريد الأمثل الذي يستطيع بفضل خصائصه وميزاته أن يسمو بالناس فردا ومجتمعا، نحو التكامل الخلقي، والمثل الاخلاقية العليا، بأسلوب شيق محبب، يستهوي العقول والقلوب، ويحقق لهم ذلك بأقرب وقت، وأيسر طريق.

وقد بنيت البحث على تمهيد أربع مباحث.

أبنت في التمهيد الأخلاق لغة واصطلاحا وأهميتها في القرآن الكريم وتعريف علم الأخلاق كما أوضحت كيف جسد الأمام الحسين القيم الأخلاقية العليا من خلال نهضته المباركة.

وتولى المبحث الأول تعريف الصدق الذي يمثل أبرز القيم الأخلاقية التي أعادها الامام الحسين من خلال حركته المباركة الى الأمة بعد ما غيبت بسبب السياسة الأموية.

وتولى المبحث الثاني شرح معنى الايثار والتأكيد عليه في الكتاب والسنة ويوم عاشوراء.

وتولى المبحث الثالث شرح حقيقة الدعاء والحث عليه في الكتاب والسنة وشروطه وذكرت بعض أدعية الامام الحسين عليه السلام في يوم عاشوراء.

وتولى المبحث الرابع تعريف الصبر والاشارة الى أنواعه وطريقة اكتسابه والتحلي به وكيف جسده الامام عليه السلام في يوم عاشوراء.

التمهيد

أهتم القرآن الكريم بمكارم الأخلاق وذم مساوئها في آياته المتكررة وسوره المتتالية بحيث بلغت مجموع الآيات التي تحدثت عن الأخلاق صراحة أو اشارة، أمرا أو نهيا، ما يقرب من ربع العدد الاجمالي لآيات القرآن الكريم، ولعل السر في عناية القرآن الكريم بهذا الاصل، هو ما ذكره في قوله تعالى: (فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ[٢])، انفض القوم تفرقوا.

وقوله تعالى: (لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا ۖ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ ۗ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)[٣].

أمر سبحانه الانسان الايمان بالله واليوم الآخر، والمراد به الايمان الذي يترتب عليه الآثار التي ذكرها في هذه الآية، وآيات اخرى في سياقها، ما كان يدعو الى العمل الصالح، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا﴾[٤].

التعريف:

الأخلاق لغة: جمع خلق (بضم الخاء وضم اللام وسكونها) في اللغة يطلق على معان. قال في تاج العروس: السجية، وهو ما خلق عليه من الطبع.

وقال: ابن العرابي: المروءة، والدين...والجمع أخلاق).

وقد ميزوا بين الخلق بالفتح والخلق بالضم _ وان كانا في الأصل واحد، كالشرب بالفتح والشرب بالضم _ لكن ((خص الخلق بالهيئات والأشكال والصور المدركة بالبصر، وخص الخلق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة))[٥].

الأخلاق اصطلاحا: قال مسكويه: ((الخلق حال للنفس داعية الى أفعالها من غير فكر ولا روية))[٦].

٢.(آل عمران/ آية ١٥٩)
٣.(الاية١٧٧/البقرة)
٤. (الكهف/١٠٧)
٥. تاج العروس
٦. تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق لأبي علي أحمدالرازي

وتبعه على هذا التعريف كثير ممن أتى بعده ومنهم الغزالي في ((احياء العلوم)) حيث قال: (الخلق: عبارة عن هيئة في النفس راسخة، عنها تصدر الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر وروية، فان كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خلقا سيئا، وانما قلنا هيئة راسخة، لأن من يصدر منه بذل المال على الندور، لحاجة عارضة، لا يقال خلقه السخاء، ما يثبت ذلك في نفسه ثبوت رسوخ، وانما اشترطنا أن تصدر منه الأفعال بسهولة من غير روية، لأن من تكلف بذل المال أو السكوت عند الغضب بجهد وروية، لا يقال خلقه السخاء والحلم.

اذن علم الأخلاق هو: العلم الباحث في محاسن الأخلاق ومساوئها، والحث على التحلي بالأولى وترك الثانية.

ويحتل هذا العلم مكانة مرموقة، ومحلا رفيعا بين العلوم، لشرف موضوعه، وسمو غايته، فهو نظامها، وواسطة عقدها، ورمز فضائلها ومظهر جمالها، اذ العلوم بأسرها منوطة بالخلق الكريم، تزدان بجماله، وتحلو بآدابه، فان خلت منه غدت هزيلة شوها، تثير السخط والتقزز.

ولا بدع فالأخلاق الفاضلة هي التي تحقق في معاني الانسانية الرفيعة، وتحيطه بهالة وضاءة من الجمال والكمال، وشرف النفس والضمير، وسمو العزة والكرامة، كما تمسخه الأخلاق الذميمة، وتحطه الى سوي الهمج والوحوش.

وليس أثر الأخلاق مقصورا على الأفراد فحسب بل يسري الى الأمم والشعوب، حيث تعكس الأخلاق حياتها وخصائصها ومبلغ رقيها، أو تخلفها في مضمار الأمم وقد زخر التاريخ بأحداث وعبر دلت على أن فساد الأخلاق وتفسخها كان معولا هداما في تقويض صروح الحضارات، وانهيار كثير من الدول والممالك.

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا[٧]

وناهيك في عظمة الأخلاق انها من أهم مهام ووظائف الأنبياء عليهم السلام، فالنبي (ص) أولاها عناية كبرى، وجعلها الهدف والغاية من بعثته ورسالته، فقال: ((انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق))[٨].

ويشكل هذا البعد عاملا مهما وأساسيا في حركة الامام الحسين عليه السلام لأن الهدف الأساسي لحركته عليه السلام هو احداث هزة لضمير الأمة الذي غُيب، ولعل من

---

٧. أحمد شوقي

٨. المجلسي، البحار: ج١٦, ص٢١٠

أهم عوامل غياب الضمير أو موته هو الخلل الأخلاقي الذي تعيشه الأمة، فالأمة التي تتمتع بالأخلاق وتسير وفق منهجها هي أمة حية في ضميرها، لا يمكن أن تقهر نفسيا وداخليا، أما الأمة التي تركت أخلاقها فهي امة ميتة مهما كبر حجمها وعظمت قدرتها.

فأيسر الطرق للسيطرة على الأمم، هو اماتة ضميرها ولا يتم ذلك الا عبر القضاء على المثل والقيم الأخلاقية، فالأمة التي تعيش مثل الصدق والوفاء والايثار والشجاعة والسخاء وغيرها من الفضائل هي أمة حية لا يمكن السيطرة عليها، ولا يمكن اللعب بمقدراتها، ولكن متى فقدت الأمة هذه الفضائل وهذه الأخلاق فيعني ذلك موت ضميرها ووجدانها ودافعها الى الحياة الكريمة، وبالتالي فيمكن حينئذ أن تتقبل أي شيء في سبيل الحفاظ على مصالحها ولذائذها ورغباتها.

وكان تركيز الأمويين على هدم القيم الأخلاقية في المجتمع الاسلامي، لذا نلاحظ أول خطاب ليزيد بعد توليه الحكم نستطيع من خلاله أن نفهم الأسلوب في شراء الضمائر وخصوصا بالأموال عندما يقول: ((...ولقد كان معاوية يغزو بكم في البحر، وأني لست حاملا أحد المسلمين في البحر، وكان يشتيكم بأرض الروم ولست مشتيا أحد بأرض الروم وكان يخرج عطاءكم أثلاثا وأنا أجمعه كله لكم))[٩].

وأوضح من ذلك ما ذكره ابن زياد في خطبته عندما أراد أن يعبئ الناس لقتال الحسين عليه السلام فقال: ((يا أيها الناس انكم بلوتم آل سفيان فوجدتموهم كما تحبون وهذا يزيد قد عرفتموه حسن السيرة محمود الطريقة محسنا الى الرعية يعطي العطاء في حقه وقد أمنت السبل على عهده، وكذلك كان أبوه معاوية في عصره، وهذا ابنه يزيد يكرم العباد ويغنيهم بالأموال، وقد زادكم في أرزاقكم مائة مائة وأمرني أن أوفرها عليكم وأخرجكم الى حرب عدوه الحسين فاسمعوا له وأطيعوا ثم نزل ووفر العطاء))[١٠].

يعبر الامام الحسين عليه السلام في خطبه وأقواله عن هذا الواقع الأليم الذي تحول فيه المسلمون من أناس يريدون وجه الله سبحانه وتعالى ويجاهدون في سبيله الى أناس يباعون ويشترون بالأموال لأنهم فقدوا ضمائرهم وارادتهم وباعوا آخرتهم بدنياهم، يقول صلوات الله عليه مخاطبا أصحابه: ((الناس عبيد الدنيا، والدين لعق على ألسنتهم يحوطونه ما درت معايشهم، فاذا محصو بالبلاء قل الديانون، ثم حمد الله وأثنى عليه وصلى على محمد وآله وقال: أما بعد فقد نزل بنا الأمر ما قد ترون، وان الدنيا قد تغيرت وتنكرت وأدبر معروفها ولم يبق منها الا صبابة كصبابة الاناء، وخسيس عيش كالمرعى الوبيل ألا ترون

[٩]. ثورة الحسين للسيد الحكيم ص١٤١
[١٠]. نفس الصدر ص١٩٨

الى الحق لا يعمل به، والى الباطل لا يتناهى منه، ليرغب المؤمن فب لقاء الله، فاني لا أرى الموت الا سعادة والحياة مع هؤلاء الظالمين الا برما))[١١].

فالإمام من خلال هذين النصين يضع يده على موضع الداء وهو أن الفساد الأخلاقي وانعدام القيم الأخلاقية السليمة هي السبب فيما وصل اليه المسلمون من عدم اهتمام بالدين وأخذ بأسباب الدنيا.

يشير القرآن الكريم والروايات الشريفة الى أهمية الجانب الأخلاقي في الحياة ورقيها وسعادتها، ومدى تأثير فقدان هذه الجوانب على حياة الانسان وتحوله بعيدا عن كل أسباب الكرامة التي أوجبها الله سبحانه وتعالى له، ويتحول من عبد لله سبحانه وتعالى الى عبد لهذه الدنيا الفانية التي ينتهي لذاتها بمجرد الموت.

في حركة الامام الحسين عليه السلام ونهضته المباركة تركيز على تثبيت مجموعة من القيم الأخلاقية، وذلك بهدف بثها في ضمير الأمة من خلال تأثير حركة الحسين عليه السلام ونهضته في هذه الأمة بمختلف أبعاد هذه الحركة، ويمكن الاشارة الى بعض هذه القيم الأخلاقية التي استطاع الحسين عليه السلام من خلال حركته أن يثبتها لتستفيد منها البشرية عبر أجيالها ولتضيف نورا آخر الى الأنوار التي تسطع من خلال نهضة الحسين عليه السلام.

توطئة:

ان في الانسان انبعاثا داخليا فطريا الى الأخلاق، يساير جميع مراحله يمكن التعبير عنه (الحاسة الأخلاقية)، التي يميز بها بين الخير والشر، كما يميز بالحاسة الجمالية المودعة فيه بين الجميل والقبيح، قال الله تعالى: (وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا)[١٢].

ومن هذه الحاسة الخلقية نستطيع أن نؤسس القواعد الخلقية والقانون الأخلاقي العام.

ولكن قد يلقى هذا النور الباطني الفطري موانع توجب طمسه، وهي كثيرة، مثل العادات، والوراثة، والبيئة، وشواغل الحياة المادية، بل ان نفس القواعد الخلقية الفطرية لم تكن كافية في ارضاء الجميع، بحيث تكون قاعدة عامة تجلب رضاء الكل، ولهذا كان لا بد من بعث الأنبياء ذوي النفوس المصفاة، الملهمة بالوحي، ليثيروا للناس دفائن العقول، ويزيلوا الغشاوة عن النور الفطري، ويكملوا ما كانوا يحتاجون اليه في اكمالهم، فكانت نهضة الامام الحسين صرخة مدوية أيقضت ضمير الأمة ونبهتها الى تلك الفطرة المودعة فيها، لتستعيد

[١١]. العقد الفريد لابن عبد ربه ص٣١٢ ج٢
[١٢]. الشمس آية ٧و٨

ما أغفلته من تراثها الأخلاقي الظخم، وتنتفع برصـــيدها المذخور، لتكتســـب ثقة الأمم واعجابها من جديد، وليكونوا كما أراد الله تعالى لهم: (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ)[١٣].

ولا يمكن حصر جميع الكمالات التي نبه عليها الامام عليه السلام وأثارها من خلال نهضـــته المباركة، ولكن يمكن الاشـــارة الى أهمها والتي لا غنى لأي مجتمع عن الأخذ بها للوصول الى الرقي والتقدم والسير وفق المنهج الرباني الذي اراده للبشرية، منها:

أولا: الصدق والشفافية في التعامل:

الصدق: مطابقة القول للواقع، وهو أشرف الفضائل النفسية، والمزايا الخلقية، لخصائصه الجليلة، وآثاره الهامة في حياة الفرد والمجتمع.

فهو زينة الحديث ورواؤه، ورمز الاستقامة والصلاح، وسبب النجاح والنجاة، لذلك مجدته الشريعة الاسلامية، وحرضت عليه، قرآنا وسنة[١٤].

قال تعالى: (وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ۙ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ)[١٥].

وقال تعالى: (قَالَ اللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا)[١٦].

وهكذا كرم أهل البيت (ع) هذا الخلق الرفيع، ودعوا اليه بأساليبهم البليغة الحكيمة:

قال الصادق عليه السلام: (لا تغتروا بصلاتهم، ولا بصيامهم، فان الرجل ربما لهج بالصلاة والصوم حتى لو تركه استوحش، ولكن اختبروهم عند صدق الحديث وأداء الأمانة))[١٧].

وقال النبي (ص): ((زينة الحديث الصدق))[١٨].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((الزموا الصدق فانه منجاة))[١٩].

وقال الصادق عليه السلام: ((من صدق لسانه زكى عمله))[٢٠].

---

[١٣]. ال عمرا اية ١١٠
[١٤]. الأخلاق في القرآن، للسيد السبزواري ص١٦
[١٥]. (الرمز/٣٣/٣٤)
[١٦]. (المائدة/١١٩)
[١٧]. الكافي - الشيخ الكليني - ج ٢ - الصفحة ١٠٤
[١٨]. الكافي
[١٩]. بحار الأنوار - العلامة المجلسي - ج ٦٨ - الصفحة ٩
[٢٠]. الكافي - الشيخ الكليني - ج ٨ - الصفحة ٢١٩

أي صار عمله ببركة الصدق زاكيا ناميا في الثواب، لأن الله تعالى: ((إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)) والصدق من أبرز خصائص التقوى واهم شرائطه.

ان من أهم القيم الأخلاقية التي ثبتها الحسين عليه السلام هي قضية الصدق في التعامل، فهو في بداية نهضته المباركة لم يؤمل الناس بالغنائم وبالخير أو النصر، وانما تعامل من البداية على خلاف الكثير من القيادات السياسية التي لا هم لها الا جمع الناس دون أن يهتموا واقعا بواقعهم وبضمائرهم ونواياهم، بينما الحسين عليه السلام كان واضحا من البداية، فهو عندما يعلن البيان الأول في حركته وذلك قبل خروجه من مكة قام خطيبا وقال: ((الحمد لله وما شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله وصلى الله على رسوله، خط الموت على ولد آدم مخط القلادة على جيد الفتاة، وما أولهني الى أسلافي اشتياق يعقوب الى يوسف وخير لي مصرع أنا لاقيه...ألا ومن كان فينا باذلا مهجته موطنا على لقاء الله نفسه، فليرحل معنا فاني راحل مصبحا ان شاء الله سبحانه وتعالى))[٢١].

فالحسين عليه السلام لم يخدع أحدا ولم يجبر أحدا على الخروج، ولم يستعمل الأساليب الأموية في اجبار الناس على الخروج أو شراء ذممهم ورشوتهم في سبيل تجيش الجيوش، وكان الصدق والشفافية السمة التي تميز بها عليه السلام مع أصحابه وأنصاره بل أكثر من ذلك نجد أن جموعا غفيرة تبعته عليه السلام ظنا منها أنه سيستلم الحكم، وان الأمور مهيئة له بشكل كامل وعندما يصل الخبر لأبي عبد الله الحسين عليه السلام بمقتل مسلم بن عقيل وغدر أهل الكوفة له ونكثهم لعهودهم فأخبر الناس بذلك وخيرهم بالبقاء معه أو تركه، وهكذا ينفض هذا الجمع الغفير ولم يبق معه الا الثلة الصالحة، وقد كان بإمكان الحسين عليه السلام أن يعمل وفق الدعايات الاعلامية وكسب الرجال، ولكنه كان صادقا معهم، ولأنه وريث النبي الأعظم (ص) كان لا بد أن يثبت القيم وأن يتعامل بالواقع لا بالغش والخداع وهذا هو الفرق بين أهل بيت النبوة والمعسكر الذي وقف أمامهم، ولعل أشد المواقف التي وقفها الحسين عليه السلام هو ليلة العاشر من محرم مع أصحابه وأهل بيته حيث جمعهم وقال لهم: ((اني لا أعلم أصحابا أولى ولا خيرا من أصحابي ولا أهل بيت أبر وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعا، ألا واني أظن يومنا من هؤلاء غدا، واني قد رأيت لكم فانطلقوا جميعا في حل ليس مني ذمام، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه جملا وليأخذ كل رجل منكم بيد رجل من اهل بيتي فجزاكم الله جميعا خيرا و تفرقوا في سوادكم ومدائنكم، فان القوم انما يطلبوني، ولو أصابوني لذهلوا عن طلب غيري))[٢٢].

---

[٢١]. الملهوف على قتلى الطّفوف ج: ١ ص: ١٢٦

[٢٢] . البداية والنهاية لابن الأثير: ج٨ص١٩١

فالإمام عليه السلام يعطي الاذن لأنصاره وأهل بيته في مفارقته ولا يجبرهم على البقاء معه، بل يحل لهم ذلك ويجعلهم في حل من أمره، ومع ذلك نجد أن هذه الثلة الصالحة تأبى أن تفارقه وتصمم على الشهادة معه، فهي أقدمت على الشهادة بكامل اختيارها وارادتها، وهكذا يثبت لنا الامام الحسين عليه السلام من خلال هذا الموقف ضرورة أن تعيش القاعدة مع القيادة حالة الصراحة والصدق، وألا يستغل القائد أتباعه وأنصاره دون علمهم وألا يستغفلهم، وهذا الأمر له أهميته الكبيرة في صحة المسيرة وتقدمها.
ومن خلال ما تقدم يمكن تقسيم الصدق الى عدة أقسام، أبرزها:

١. الصدق في الأقوال، وهو: الاخبار عن الشيء على حقيقته من غير تزوير وتمويه.
٢. الصدق في الأفعال، وهو: مطابقة القول للفعل، كالبر بالقسم، والوفاء بالعهد والوعد
٣. الصدق في العزم، وهو: التصميم على أفعال الخير، فان أنجزها كان صادق العزم، والا كان كاذبة.
٤. الصدق في النية، وهو: تطهيرها من شوائب الرياء، والاخلاص به الى الله تعالى وحده.

ثانيا: الايثار

ان مسألة الايثار من المسائل التي ركز عليها الإسلام واعتبرها من القيم الأخلاقية المهمة، ويكفي أن نرى القرآن الكريم يشير الى هذه الفضيلة الأخلاقية، وقد مدح عز وجل الأنصار في موقفهم مع المهاجرين وايثارهم على أنفسهم فقال عز من قائل: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)[٢٣].

وهو أسمى درجات الكرم، وأرفع مفاهيمه، ولا يتحلى بهذه الصفة المثالية النادرة، الا الذين تحلوا بالأريحية، وبلغوا قمة السخاء، فجادوا بالعطاء، وهم بأمس الحاجة اليه، وآثروا بالنوال، وهم في ضنك من الحياة.

ويزخر تاريخ الاسلام في بداياته بالقصص العجيبة التي تبين أن هذه الخصيصة كانت موجودة في أوساط المسلمين، وأن كثيرا منهم يتمتع بهذه الفضيلة الأخلاقية، ولكن مع ضعف القيم الأخلاقية نتيجة الفتوحات وما أفرزته من انغماس بالأموال والملذات، ودور الأمويين في تمييع المسلمين والقضاء على كل الفضائل الأخلاقية، فان هذه الظاهرة ضعفت كما ضعف غيرها من الفضائل الأخلاقية.

[٢٣]. (الحشر / ٩)

وسئل الصادق عليه السلام: أي الصدقة أفضل؟ قال: جهد المقل، أما سمعت الله تعالى يقول: (ويؤثرون على أنفسهم ولو بهم خصاصة).

ولقد كان النبي (ص) المثل الأعلى في عظمة الايثار، وسمو الأريحية.

قال جابر بن عبد الله: ما سئل رسول الله (ص) شيئا فقال لا.

وقال الصادق عليه السلام: ((ان رسول الله أقبل الى جعرانة، فقسم فيها الأموال وجعل الناس يسألونه فيعطيهم، حتى ألجأوه الى شجرة فأخذت برده، وخدشت ظهره، حتى جلوه عنها، وهم يسألونه، فقال: أيها الناس ردوا علي بردي، والله لو كان عندي شجر تهامة نعما لقسمته بينكم، ثم ما ألفيتموني جبانا ولا بخيلا...))[٢٤].

وقد كان (ص) يؤثر على نفسه البؤساء والمعوزين، فيجود عليهم بماله وقوته، ويظل طاويا، وربما شد حجر المجاعة على بطنه مواساة لهم.

قال الباقر عليه السلام: ((ما شبع النبي من الخبز بر ثلاثة أيام متوالية، منذ بعثه الله الى أن قبضه)[٢٥]. وهكذا كان أهل بيته (ص) في كرمهم وايثارهم.

قال الصادق عليه السلام: ((كان علي أشبه برسول الله، كان يأكل الخبز والزيت ويطعم الناس الخبز واللحم))[٢٦].

وفي علي وأهل بيته الطاهرين، نزلت الآية الكريمة: (وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلَا شُكُورًا).

فقد أجمع أولياء أهل البيت على نزولها في علي وفاطمة والحسن والحسين وقد أخرجه جماعة من أعلام غيرهم، واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشاف.

قال: ((وعن ابن العباس أن الحسن والحسين مرضا، فعادهما رسول الله في ناس معه، فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما، ان برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام فشفيا، وما معهم شيء، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من الشعير، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا، فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم أهل بيت محمد، مسكين من مساكين المسلمين، أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة، فآثروه،

---

[٢٤]. ١ _سفينة البحار ج١ ص٦٠٧

[٢٥]. وسائل الشيعة (آل البيت) - الحر العاملي - ج ٢٤ - الصفحة ٢٥٠

[٢٦]. الكافي - الشيخ الكليني - ج ٦ - الصفحة ٣٢٨

وباتوا ولم يذوقوا الا الماء، وأصبحوا صياما فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم، وقف عليهم يتيم فآثروه، ووقف عليهم أسير ففعلوا مثل ذلك.

فلما أصبحوا أخذ علي بيد الحسن والحسين واقبلوا الى رسول الله، فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع، قال: ما أشد ما يسوؤني، ما أرى بكم، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها، قد التصق بطنها بظهرها، وغارت عيناها، فساءه ذلك، فنزل جبرائيل وقال: خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك، فاقرأه السورة))[٢٧].

وتأتي مدرسة عاشوراء لتثبت هذه الفضيلة وتظهرها بأجلى صورها حيث جاهد أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم سيد الشهداء وأصحابه وأنصاره بأرواحهم في سبيل اعلاء كلمة الدين ((والجود بالنفس أقصى غاية الجود)) بالإضافة الى بعض الظواهر التي لا يمكن للإنسان ان يتعقلها والتي لا يمكن أن تصدر الا من ذلك البيت الذي آثر على نفسه ثلاثة ايام فإطعام المسكين واليتيم والأسير وبقي جائعا، هذا البيت هو الذي أنجب مثل العباس عليه السلام هذا البطل الذي أثر فيه العطش كما أثر في أخيه وسيده الحسين عليه السلام ويأخذ القربة ليملأ الماء للعيال والأطفال ويصل الى نهر الفرات، ومع كل العطش الذي يشعر به فهو حينما يغترف الماء يتذكر عطش الحسين عليه السلام ومن معه فيرمي الماء ويقول:

يا نفس من بعد الحسين هوني وبعده لا كنت أن تكوني
هذا حسين وارد المنون وتشربين بارد المعين
تا الله ما هذا فعال ديني

وهكذا لم يشرب الماء مواساة لأخيه الحسين عليه السلام وعيالاته، فأي ايثار هذا وأي مواساة هذه التي تجعل العباس عليه السلام يمتنع عن شرب الماء لأن الحسين عليه السلام لم يشربه، ويؤثر على نفسه فيأخذ له الماء ولكن الماء لم يصل الى الحسين عليه السلام ولا الى عيالاته، وهناك صور كثيرة تبدي لنا مسالة الايثار في حركة الحسين عليه السلام وأصحابه عليهم السلام.

ثالثا: الدعاء:

قال تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فأني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون)[٢٨].

---

[٢٧]. أخلاق أهل البيت للسيد مهدي الصدر

[٢٨]. (البقرة/١٨٦)

في مضمون الآية الشريفة تحريض للدعاء، بأحسن بيان، وأرق أسلوب، وأبلغ خطاب يلقى للسامع، وهو يشعر بالعطف والحنان حيث أن كلمة (عبادي) تدل على كمال الرأفة والاعتناء بالخلق، ولو قال (خلقي أو الانسان) لما أفاد ذلك، واتيان الصيغة المؤكدة (فاني قريب) دون الفعل، للدلالة على ثبوتها ودوامها , كما أنه حذف الواسطة ولم يقل ((فقل اني قريب))، ليدل على أن الاجابة منحصرة فيه تعالى، كما أن اتيان الفعل في قوله تعالى: (أجيب دعوة الداع) للدلالة على استمرار الاجابة وتجددها، مما يؤدي الى استقرار النفس بان خالقها قريب منها، يسمع دعاء من يدعوه بكل ما يدعوه.

ومن خلال المضامين الرفيعة للآية المباركة يمكن استظهار عدة أمور منها:

١. حقيقة الدعاء:

هو الوسيلة بين العبد وخالقه، واتصال من عالم الملك بعالم الملكوت، الذي هو من أهم الأسباب الطبيعة الاختيارية الواقعية، لنجح المطلوب والنيل الى المقصود، فانه كما تترتب المسببات على الأسباب المقتضية لها، فان قانون السببية الذي جعله الله تعالى وسيلة لتحقق المسببات الوجودية من دون ان يكون في البين فيض من الأسباب مستقلة من دون الله، كذلك فان للإنسان شعورا باطنيا وحسا وجدانيا، أن له ملجأ يأوي اليه في حوائجه ليقضيها، وأن له سببا معطيا، لا ينضب معينه، وهو مسبب الأسباب، وهو ليس كالأسباب الظاهرية التي يمكن أن يتخلف عنها أثرها.

وهذا الشعور الباطني يمكن أن يشتد عند فرد، بحيث لا يرى للمسببات الا سببا واحد وينقطع عن سبب دونه، فيعتصم به، ولا يتخلى عنه، ويتوكل عليه في كل حوائجه فتنكشف لديه الأشياء على حقائقها، ويرى زيف الأسباب.

نعم قد يعرض على هذا الشعور الباطني والحسي الوجداني بعض الظلمات والأوهام، فيوجب طمس هذا النور الفطري أو خفائه، تبعا لشدة ما يتخيل خلاف طمس ما هو المركوز في فطرته، وهذا لا يختص بهذا النور الفطري، بل يشمل جميع ما يتعلق بالفطرة والشعور الباطني، ولذا قد يرجع ويفيء الى فطرته عند تزاحم المشاكل وعدم نفع أي سبب في رفعها، كما ورد في قضية من ركب البحر، فانكسرت به السفينة وأيقن بالهلاك، فعند ذلك يدعو من ينجيه، قال تعالى: (هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين)[٢٩].[٣٠]

---

[٢٩]. (يونس/٢٢)

[٣٠]. الأخلاق في القرآن للسيد السبزواري

٢. شروط الدعاء:

الأول: الايمان بالله تعالى، قال عز وجل: (إذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي وليومنوا بي لعلهم يرشدون)[٣١].

الثاني: الاخلاص في الدعاء وعقد القلب عليه، وحسن الظن بالإجابة، قال تعالى: (فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان)، وقال تعالى: (ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فإنك إذا من الظالمين)[٣٢].

وفي الكافي: عن الصادق عليه السلام: ((إذا أراد أحدكم أن لا يسأل ربه شيئا الا أعطاه، فاليأس من الناس كلهم، ولا يكون له رجاء الا عند الله، فاذا علم الله ذلك من قلبه لم يسأل الله شيئا الا أعطاه))، وعن الصادق عليه السلام: ((اذا دعوت فأقبل بقلبك، وظن حاجتك بالباب))، وفي وصية النبي (ص) لعلي عليه السلام: ((لا يقبل الله دعاء قلب ساه)).

وفي الكافي: عن سليمان بن عمرو، قال: ((سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ان الله عز وجل لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه فاذا دعوت فاقبل بقلبك، ثم استيقن بالإجابة)).

وفي نهج البلاغة عن أمير المؤمنين عليه السلام: ((ان العطية على قدر النية)).

الثالث: اليأس من غير الله تعالى، لأنه رب السنوات والارض، عنده مفاتيح الغيب، يعطي لمن يريد ويمنع عمن يريد، والعلم بأنه تعالى انما يقضي الحوائج حسب المصلحة، فان الانسان لا يعرف الحقائق ويجهلها، وربما يسأل ما هو شر وأن الله تعالى يبدله الى خير، وربما يسأل الخير فيؤخره، اذ المصلحة في التأخير.

ففي نهج البلاغة عن علي عليه السلام: ((وربما أخرت عنك الاجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، وأجزل لعطاء الآمل، وربما سألت الشيء فلا تؤتاه وأوتيت خير منه، عاجلا أو آجلا، أو صرف عنك لما هو خير لك، فلرب أمر قد طلبته فيه هلاك دينك أو أوتيته، فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله، وينفي عنك وباله، والمال لا يبقى لك ولا تبقى له)).

---

٣١. (البقرة /١٨٦).
٣٢. (يونس/١٠٦)

الرابع: أن يكون المراد خيرا ممكنا، بأن لا يكون من المحالات الذاتية أو العادية، ومما لا نفع له؛ أو مما يضر بحال الآخرين، أو نهى عنه الشارع، ونحو ذلك، فان مثل هذا الدعاء مما لا يستجاب، لأن الله تعالى: ((أبى أن يجري الأمور الا بأسبابها))، وان كانت المستحيلات تحت قدرته تعالى، ولكنه عز وجل لم يفعلها، لاستلزامه نقض الحكمة، ففي الحديث عن علي عليه السلام: ((اثنوا على الله عز وجل وامدحوه قبل طلب الحوائج، يا صاحب الدعاء لا تسأل ما لا يحل ولا يكون)).

وفي الكافي: عن أبي الحسن الرضا عليه السلام: ((لا تمل من الدعاء، فانه من الله تعالى بمكان، وعليك بالصبر وطلب الحلال، وصلة الرحم)) الى غير ذلك من الروايات.

الخامس: طيب المكسب والعمل الصالح، ففي الحديث عن الصادق عليه السلام: ((من سره أن تستجاب دعوته، فليطلب مكسبه))، وفي وصية النبي (ص) لأبي ذر: ((يا أبا ذر، يكفي من الدعاء مع البر ما يكفي الطعام من الملح، يا أبا ذر، مثل الذي يدعوه بغير عمل، كمثل الذي يرمي بغير وتر، يا أبا ذر، ان الله يصلح بصلاح العبد ولده وولد ولده، ويحفظه في دويرته، والدور حوله ما دام فيهم)).

وعن زرارة عن الصادق عليه السلام: ((الداعي بلا عمل، كالرامي بلا وتر)).

وفي عدة الداعي: ((ان الله أوحى الى عيسى: قل لظلمة بني اسرائيل: لا تدعوني والسحت تحت أقدامكم، والأصنام في بيوتكم، فاني آليت أن أجيب من دعاني، وان اجابتي اياهم لعنا عليهم حتى يتفرقوا)).

وفي الحديث القدسي: ((لا تحجب عني دعوة الا دعوة آكل الحرام)).

وقال رسول الله (ص) لرجل حين ما قال له: أحب أن يستجاب دعائي، فقال (ص): ((طهر مأكلك، ولا تدخل بطنك الحرام)).

السادس: أداء مظالم الناس وحقوقهم، فقد ورد عن الصادق عليه السلام: قال الله عز وجل: ((وعزتي وجلالي، لا أجيب دعوة مظلوم دعاني في ظلمة، أو لأحد عنده مثل تلك المظلمة)).
وفي عدة الداعي: ((أوحى الله الى عيسى: قل لظلمة بني اسرائيل: إني لا أستجيب لأحد منهم دعوة، ولأحد من خلقي عندهم مظلمة)).

فضل الدعاء

للدعاء فضل كبير، وقد أمرنا به في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، وقد عبر عنه بالعبادة في الآية الشريفة المتقدمة، ويكفي في فضلها قوله تعالى: (قل ما يعبؤا بكم ربي لولا

دعاؤكم)[٣٣]، فهو سبب اعتناء الله تعالى بخلقه، وقوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عني فاني قريب أجيب دعوة الداع إذا دعان فليستجيبوا لي)[٣٤]، فانه كفى فضلا في أنه تعالى بنفسه الأقدس، يجيب الداع من دون واسطة في البين، وقوله تعالى: (ادعوني أستجب لكم)[٣٥].

وأما السنة: فقد وردت روايات كثيرة متواترة من الفريقين في فضل الدعاء واستحبابه مطلقا: فعن النبي (ص) فيما رواه الفريقين: ((الدعاء سلاح المؤمن، وعمود الدين، ونور السماوات والأرض)).

وعن الصادق عليه السلام: ((الدعاء يرد القضاء، بعد ما أبرم ابراما)).

وعن أبي الحسن عليه السلام: ((عليكم بالدعاء، فان الدعاء والطلب الى الله عز وجل يرد البلاء وقد قدر وقضي، فلم يبق الا امضاؤه فاذا دعي الله وسئل صرف البلاء، صرفه)).

وعن الصادق عليه السلام: ((ان الدعاء يرد القضاء المبرم وقد أبرم ابراما، فأكثر من الدعاء فأنه مفتاح كل رحمة، ونجاح كل حاجة، ولا ينال ما عند الله الا بالدعاء، فانه ليس من باب يكثر قرعه الا أوشك أن يفتح لصاحبه)).

وفي الكافي، عن أبي عبد الله عليه السلام: ((عليكم بالدعاء، فإنكم لا تتقربون بمثله ولا تتركوا صغيرة لصغرها أن تدعوا بها، ان صاحب الصغار هو صاحب الكبار)).

وعن الصادق عليه السلام: ((ان الله تبارك وتعالى يعلم ما يريد العبد إذا دعاه، ولكنه يحب أن تثبت اليه الحوائج، فاذا دعوت فسم حاجتك)).

وفي الكافي: عن ميسر عن الصادق عليه السلام: ((يا ميسر، ادع ولا تقل: ان الأمر قد فرغ منه، ان عند الله عز وجل منزلة لا تنال الا بمسألة)).

وعن الباقر عليه السلام: ((لا تمل من الدعاء، فانه عند الله بمكان)).

وعن علي عليه السلام: ((الدعاء مخ العبادة)).

وعن الرضا عليه السلام: ((عليكم بسلاح الأنبياء، فقيل: ما سلاح الأنبياء؟ قال عليه السلام: الدعاء)).

وعن النبي (ص): ((ادفعوا أبواب البلاء بالدعاء)).

---

٣٣. (الفرقان/٧٧)
٣٤. (البقرة/١٨٦)
٣٥. (غافر/٦٠)

أدعية الامام الحسين (ع)

دعاؤه في الالتجاء الى الله تبارك وتعالى روي عن زين العابدين عليه السلام أنه قال: لما أصبحت الخيل تقبل على الحسين (ع) رفع يديه وقال:

اللهم أنت ثقتي في كل كرب، وأنت رجائي في كل شدة، وأنت لي في كل أمر نزلبي ثقة وعدة، كم من هم يضعف فيه الفؤاد، وتقل فيه الحيلة، ويخذل فيه الصديق ويشمت فيه العدو، أنزلته بك، وشكوته اليك، رغبة مني اليك عمن سواك ففرجته وكشفته، فأنت ولي كل نعمة، وصاحب كل حسنة، ومنتهى كل رغبة.

دعاؤه في يوم الطف ان الحسين (ع) دعا الله بكلمات طيبة في ذلك اليوم فقال: اللهم متعالي المكان، عظيم الجبروت، شديد المحال، غني عن الخلائق عريض الكبرياء، قادر على ما تشاء، قريب الرحمة، صادق الوعد، سابغ النعمة، حسن البلاء، قريب إذا دعيت، محيط بما خلقت، قابل التوبة لمن تاب اليك، قادر على ما أردت، ومدرك ما طلبت، شكور إذا شكرت، وذكور إذا ذكرت، أدعوك محتاجا، وأرغب اليك فقيرا، وأفزع اليك خائفا، وأبكي اليك مكروبا، وأستعين بك ضعيفا، وأتوكل عليك كافيا، أحكم بيننا وبين قومنا بالحق، فانهم غرونا وخدعونا وغدروا بنا وقتلونا، ونحن عترة نبيك حبيبك محمد بن عبد الله، الذي اصطفيته بالرسالة وأتمنته على وحيك، فاجعل لنا من أمرنا فرجا ومخرجا برحمتك يا أرحم الراحمين صبرا على قضاءك يا رب لا إله سواك يا غياث المستغيثين ما لي رب سواك ولا معبود غيرك صبرا على حكمك.

دعاؤه لقضاء الحوائج: عن الامام زين العابدين قال: ضمني والدي الحسين (عليه السلام) الى صدره يوم قتل والدماء تغلي، وهو يقول: يا بني احفظ عني دعاء علمتنيه فاطمة (عليها السلام) وعلمها رسول الله (ص) وعلمه جبريل (عليه السلام) في الحاجة والمهم والغم والنازلة والأمر العظيم قال ادع: اللهم بحق يس والقرآن الكريم، وبحق طه والقرآن العظيم، يا من يقدر على حوائج السائلين، يا من يعلم ما في الضمير، يا منفس عن المكروبين، يا مفرج عن المغمومين، يا راحم الشيخ الكبير، يا رازق الطفل الصغير، يا من لا يحتاج الى التفسير صل على محمد وآل محمد، واطلب حاجتك تقضى بأذن الله.

رابعا: الصبر:

احتمال المكاره من غير جزع، أو بتعريف آخر هو: قسر النفس على مقتضيات الشرع والعقل أوامرا ونواهيا، وهو دليل رجاحة العقل، وسعة الأفق، وسمو الخلق، وعظمة

البطولة والجلد، كما هو معراج طاعة الله تعالى ورضوانه، وسبب الظفر والنجاح، والدرع الواقي من شماته الأعداء والحساد.

وناهيك في شرف الصبر، وجلالة الصابرين، أن الله عز وجل، أشاد بهما، وباركهما في نيف وسبعين موطنا من كتابه الكريم:

بشر الصابرين بالرضا والحب، فقال تعالى: (والله يحب الصابرين)[٣٦].

ووعدهم بالتأييد: (واصبروا ان الله مع الصابرين)[٣٧].

ومنحهم الثواب الجم: (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)[٣٨].

وأغدق عليهم ألوان العناية واللطف: (ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين الذين إذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولاءك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولآءك هم المهتدين)[٣٩].

وهكذا تواترت أخبار أهل البيت عليهم السلام في تمجيد الصبر والصابرين:

قال الصادق عليه السلام: ((الصبر من الايمان بمنزلة الرأس من الجسد، فاذا ذهب الرأس ذهب الجسد، وكذلك إذا ذهب الصبر ذهب الايمان)).

وقال الباقر عليه السلام: ((الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار)).

وقال عليه السلام: (لما حضر أبي الوفاة ضمني الى صدره وقال: يا بني، اصبر على الحق وان كان مرا، توف أخبرك بغير حساب).

وقال الصادق عليه السلام: ((من ابتلي من المؤمنين ببلاء فصبر عليه كان له أجر ألف شهيد)).

وقال أمير المؤمنين عليه السلام: ((من لم ينجه الصبر، أهلكه الجزع)).

---

٣٦. (آل عمران/١٤٦)
٣٧. (الأنفال/٤٦)
٣٨.(الزمر/١٠)
٣٩.(البقرة/١٥٥)

أقسام الصبر: باعتبار الظرف ومقتضياته أقساما أهمها:

١. الصبر على طاعة والتصبر على عصيانه:

من الواضح أن النفوس مجبولة على الجموح والشرود من النظم الالزامية والضوابط المحددة لحريتها وانطلاقها في مسارح الأهواء والشهوات فهي لا تنصاع لتلك النظم الا بالإغراء والتشويق أو الإنذار والترهيب. وحيث كانت ممارسة طاعة الله، ومجافاة عصيانه شاقين على النفس كان الصبر على الطاعة والتصبر على المعصية من أعظم الواجبات.

قال الصادق عليه السلام: ((اصبروا على الطاعة، وتصبروا على معصية، فإنما الدنيا ساعة، فما مضى فلست تجد له سرورا ولا حزنا، وما لم يأت فلست تعرفه، فاصبر على تلك الساعة، فكأنك قد اغتبطت)).

وقال عليه السلام: ((إذا كان يوم القيامة، يقوم عنق من الناس، فيأتون باب الجنة فيضربونه، فيقال لهم من أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الصبر: فيقال لهم: على ما صبرتم؟ فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر على معصية الله، فيقول الله تعالى: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قوله تعالى: (انما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب) وقال عليه السلام: ((الصبر صبران: فالصبر عند المصيبة، حسن جميل، وأفضل من ذلك الصبر عما حرم الله عز وجل ليكون لك حاجزا)).

٢. الصبر على النعم: هو رعاية حقوقها، واستغلالها في مجالات العطف والاحسان المادية أو المعنوية، كرعاية البؤساء، واغاثة المضطهدين، والاهتمام بحوائج المؤمنين، والتوخي في مزالق البطر والتجبر.

وللصبر انواع عديدة:

فالصبر في الحرب: شجاعة، وضده الجبن.

والصبر عن الانتقام: حلم، وضده الغضب.

والصب عن زخارف الحياة: زهد، وضده الحرص.

والصبر على كتمان الأسرار: كتمان، النشر.

والصبر على شهوتي البطن والفرج: عفة، وضده الشره.

فاتضح بهذا أن الصبر نظام الفضائل، وقطبها الثابت، وأساسها المكين[٤٠].

[٤٠]_ أخلاق أهل البيت للسيد مهدي الصدر

كيف نكسب الصبر؟

١_ التأمل في مآثر الصبر، وما يفيء على الصابرين من جميل الخصائص، وجليل العوائد، والمنافع في الحياة الدنيا، وجزيل المثوبة والأجر في الأخرة.

٢ _ التفكير في مساوئ الجزع، وسوء آثاره في حياة الانسان، وأنه لا يشفي غليلا، ولا يرد قضاء، ولا يبدل واقعا، ولا ينتج الا بالشقاء والعناء.

٣_ مفهوم واقع الحياة، أنها مطبوعة على المتاعب والهموم:

طبعت على كدر وأنت تريدها صفوا من الأقدار والأكدار

فليست الحياة دار هناء وارتياح، وانما هي: دار اختيار وامتحان للمؤمن، فكما يرهق طلاب العلم بالامتحانات استجلاء لرصيدهم العلمي، كذلك يمتحن المؤمن اختبار لأبعاد ايمانه ومبلغ يقينه. قال تعالى: (أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا ءامنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين)[٤١].

٤ _ التسلية والترفيه بما يخفف آلام النفس، وينهنه عن الوجد: كتغير المناخ، وارتياد المناظرة الجميلة، والتسلي بالقصص الممتعة، والأحاديث الشهية النافعة.

٥ _ الاعتبار والتأسي بما عاناه العظماء، والأولياء، صنوف المآسي والأرزاء، وتجلدهم فيها وصبرهم عليها، في ذات الله، وذلك من محفزات الجلد والصمود.

ومن هنا نجد أن أبا الضيم الامام الحسين أبرز الشخصيات التي جسدت معنى الصبر بجميع أبعاده وخصوصا في ليلة عاشوراء التي حظيت بعظيم المكاره والمصائب والأرزاء، والتي لا يعهد لها مثيل في تاريخ البشرية، نرى وقد برز الصبر فيها، وصار أحد سماتها، وصفة قد تحلى بها حتى أصبح كل واحد منهم كالجبل الأصم لا تهزه العواصف ومن بينهم سيد شباب أهل الجنة الذي كلما ازداد الموقف شدة ازداد صبرا واشراقة.

وكما قيل: ان في بشاشة وجه الرئيس أثرا كبيرا في قوة آمال الأتباع ونشاط أعصابهم، فكان أصحابه كلما نظروا اليه عليه السلام ازدادوا نشاطا وصمودا، هذا مع ما هو فيه _ (صلوات الله عليه) _ من البلاء العظيم والخطب الجسيم في ليلة لم تمر عليه بأعظم منها،

[٤١]. (العنكبوت /٣)

حيث يرى الأعداء قد اجتمعوا لقتاله وقتال أهل بيته، وهو يرى أهله يرقبون نزول البلاء العظيم مع ما هم فيه من العطش الشديد، بلا زاد ولا ماء حتى ذبلت شفاههم وغارت عيونهم، وبحت أصواتهم، وذعرت أطفالهم، وارتاعت قلوبهم، في وجل شديد على فراق الأحبة وفقد الأعزة ومن يرى ذلك كيف لا ينهار ولا يضعف ولا تقل عزيمة وهو يرى ما يبعث على الألم ويحطم القوى!!

ان الحسين عليه السلام الذي كان يلحظ ذلك بعينه، لا تجد أثرا من ذلك في نفسه بل كان يزداد صبرا وعزيمة وتحمل تلك الأعباء الثقيلة، وتسلح بالصبر على الأذى في سبيل الله تعالى وهو القائل: ومن رد علي هذا أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق وهو خير الحاكمين، فكان عليه السلام نعم الصابر المحتسب عند الله تعالى.

وقد جاء في الزيارة عن الامام الصادق عليه السلام: ((وصبرت على الأذى في جنبه محتسبا حتى أتاك اليقين)، كما جاء في الزيارة: ((وقد عجبت من صبرك ملائكة السماوات)).

وكان يقول في أوقات الشدة يوم عاشوراء وهو متشحط بدمه: صبرا على قضائك يارب لا إله سواك، يا غياث المستغيثين، مالي رب سولك ولا معبود غيرك صبرا على حكمك، وناهيك عن موقفه المرير وهو يشاهد مقتل رضيعه الصغير وهو يقول: اللهم صبرا واحتسابا فيك.

وكيف لا يكون صابرا محتسبا وهو من الذين عناهم الله تعالى في قوله: (وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا)، وقوله: (وجزاهم بما صبروا جنة وحريرا) فالحسين عليه السلام شخصية منفردة بجميع صفات الكمال، وتجسدت فيه كل صور الأخلاق، وقد أراد عليه السلام أن يضفي من كماله على أصحابه وأهل بيته بوصاياه لهم بالصبر الجميل، وتوطين النفس واحتمال المكاره، ليستعينوا بذلك في تحميل الأعباء ومكابدة الآلام، وليحوزوا على منازل الصابرين وما أعد الله لهم.

وهذا ما أكده القرآن الكريم في هذا الجانب اذ حث المجاهدين في سبيل الله على التحلي بالصبر والثبات في ساحة القتال قال تعالى: (يا أيها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا)، وقال تعالى: (ان تكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مئتين)، وقال تعالى: (يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم مئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون).

وهذه الأبيات منسوبة اليه عليه السلام تظهر مدى صبره.

يا نكبات الدهر دولي دولي	واقصري ان شئت أو أطيلي
رميتني رمية لا مقيـل	بكل خطب فادح جليل
وكل عبء أيد تقبـل	أول ما رزئت بالرسول
وبعد بالطاهرة البتول	والوالد البر بنا الوصول
وبالشقيق الحسن الجليل	والبيت ذي التأويل والتنزيل
وزورنا المعروف من جبريل	فما له الرزء من عديل
ما لك عني اليوم من عدول	وحسبي الرحمن من منيل

الخلاصة
بسم الله الرحمن الرحيم

عن عبد الله بن بكير عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: كتب الحسين بن علي من مكة الى محمد بن علي: ((بسم الله الرحمن الرحيم، من الحسين بن علي ومن قبله من بني هاشم أما بعد، فان من لحق بي استشهد ومن لم يلحق بي لم يدرك الفتح)).

عاشوراء هذه الملحمة الربانية الخالدة بقيت مدرسة شامخة على مر العصور، يستلهم منها السائرون على نهج الحق العبر والدروس، يأخذ كل واحد منها احتياجه من نمير هذه المدرسة المتجددة، وهي التي شغلت الكتاب والباحثين، بل أشغلت كل الناس لما لهذه المدرسة من تميز خاص، ولعل من أجمل ما قيل بحق الحسين عليه السلام وقضية ما قاله أحد علمائنا الأبرار: ((وشأن الحسين عليه السلام وقضية الحسين شأن القرآن الكريم الذي لا يختص مضمونه بعصر نزوله، وانما يتجدد في كل عصر، ويعالج قضايا كل عصر فهو حي متجدد كالشمس والقمر كما ورد في روايات أهل البيت عليهم السلام، والحسين عليه السلام أيضا هو القران الناطق وقضية وحركته لا بد من أن نفهمها في كل عصر من اجل أن نستوحيها ونستلهمها في كل عصر)).

ان الكتاب والباحثين والخطباء والمثقفين لا زالوا يتحدثون عن الحسين ونهضته، ولا زالوا يكتشفون في كل يوم درسا وعبرة منه، لذا بقيت قضيته متجددة، ومن هنا نفهم كيف أن الحسين صار فاتحا باستشهاده لأنه استطاع أن يهزم أعداءه من ذاكرة التاريخ، وبقي متربعا على عرش الفاتحين بتثبيت مبادئه وتحقيق أهدافه.

فبالإضافة الى العامل الرباني الذي جعل للحسين عليه السلام خصوصية في نفوس المؤمنين حيث نلاحظ أنه مهما ذكر الحسين فان النفس لا تمل من ذكره بل نلاحظ أن التفجع يزداد كلما ازداد الانسان التصاقا به، وحضورا لمجالسه، فبالإضافة الى هذا نجد أن سبب بقائها وتجددها ما تقدمه قضية الحسين ونهضته المباركة من اثراء فكري على مختلف المستويات بالنسبة للإنسان لاشتمالها على أبعاده متعددة، فالعارف والسالك الى الله يجد فيها أوضح الوسائل لإرشاده وايصاله الى الله سبحانه وتعالى، والسياسي يجد فيها قمة المناورات السياسية والنضج السياسي، والشجاع يرى فيها الملحمة الخالدة في الشجاعة والبطولة، والفرد والمجتمع يجد فيه مثالا للأخلاق وأنموذجا يحتذى بكل سلوكياته ويقتدى به، لأنه استلهم كل تفاصيل حيلته الأخلاقية من الرسول وأهل بيته عليهم السلام فهو بحق قدوة صالحة ومرجع أخلاقي بحركاته وسكناته وتفاصيل حياته، ولا زالت أخلاقه ونفحاته تعطي منهجا سلوكيا ومربيا لكل عالم ومتعلم؛ لأن منهجه مستمد من القرآن الكريم، وأخلاق أهل لبيت عليهم السلام، وهو منهج يمثل سمو آداب الوحي الإلهي، وبلاغة أهل البيت عليهم السلام، وحكمتهم، وهم يسيرون على ضوئه، ويستلهمون مفاهيمه، ويستقون من معينه، ليحيلوها الى الناس حكمة بالغة، وأدبا رفيعا، ودروسا أخلاقية فذة، تشع بنورها وطهورها على النفس، فتزكيتها وتنيرها بمفاهيمها الخيرة وتوجيهها الهادف البناء.

ولئن اهتدى به أناس وقصر عنه آخرون، فليس ذلك بقادح في حكمته وسمو تعاليمه، وانما هو لاختلاف طباع الناس، ونزعاتهم في تقبل مفاهيم التوجيه والتأديب، وانتفاعهم بها، كاختلاف المرضى في انتفاعهم بالأدوية الشافية، والعقاقير الناجعة: فمنهم المنتفع بها ومنهم من لا تجديه نفعا.

ومما يحز في النفس، ويبعث على الأسى والأسف البالغين، أن المسلمين بعد أن كانوا قادة الأمم، وروادها الى الفضائل، ومكارم الأخلاق، قد خسروا مثاليتهم لانحرافهم عن آداب الاسلام، وأخلاقه الفذة، ما جعلهم في حالة مزرية من التخلف والتسيب الخلقيين. لذلك كان لزاما عليهم إذا ما ابتغوا العزة والكرامة وطيب السمعة أن يستعيدوا ما أغفلوه من تراثهم الأخلاقي الضخم، وينتفعوا برصيده المذخور، ليكسبوا ثقة الناس واعجابهم من جديد، ليكونوا كما أراد الله تعالى لهم: (خير أمة أخرجت للناس).

وتلك أمنية غالية، لا تنال الا بتظافر جهود المخلصين من جميع شرائح المجتمع، والمؤسسات الدينية والتعليمية والاجتماعية، على توعية المسلمين، وحثهم على التمسك بالأخلاق الاسلامية، ونشر مفاهيمها البناءة والاهتمام بعرضها عرضا شيقا جذابا، يغري الناس بدراستها والافادة منها.

طرق اكتساب الأخلاق الفاضلة

ذكرنا أن الأساس الذي يبتني عليه الأخلاق في القرآن الكريم هو التقوى، فإنها الطريق الى التخلق بالأخلاق الفاضلة، واكتساب الفضائل وازالة الرذائل، والتقوى هي الجهد المتواصل من الفرد، فلا تتحقق الا بالتواصل والعمل الدؤوب، وتكرار الأعمال الصالحة، لتتمكن الأخلاق الفاضلة في النفس ويتعذر ازالتها.

وفي التقوى يرتبط العمل بالنية وكل ما كانت النية خالصة لله تعالى خالية عن الأغراض الدنيوية، ازدادت قيمة العمل، وقرب الى القبول، وصلح للجزاء الأوفى بل يعتبر القرآن الكريم أن الغايات المرجوة من الأعمال، سواء كانت لجلب النفع، أو لدفع الضرر، هي نقص في مقابل الكمال المطلق، قال تعالى: (ان العزة لله جميعا)[٤٢]، وقال تعالى: (واتقون يا أولي الألباب)[٤٣].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة، التي تحصر الكمال فيه عز وجل.

ولهذا الأمر أثر كبير في النفس، حيث يجعل العمل خالصا لوجه الله منزها عن كل غاية من غير الله تعالى، وأن الغاية هي الله تعالى والتخلق بأخلاقه، وهذا مسلك جديد لم يكن معروفا من قبل نزول القرآن، ويختلف عن سائر المسالك المتبعة في تهذيب النفس بوجهين:

الأول: أن في هذا المسلك يعد الانسان اعدادا علميا وعمليا لقبول الأخلاق الفاضلة والمعارف الالهية، بحيث لا يبقى مجال للرذائل.

الثاني: ان في هذا المسلك يكون الفعل صادرا عن العبودية المحضة والحب العبودي، فيكون الغرض هو وجه الله تعالى فقط، فهو مبني على توحيد الخالص، بخلاف غيره.

وهناك مذاهب أخرى في تهذيب الأخلاق في مقابل الاتجاه القرآني:

١. الاتجاه العقلي ٢. الاتجاه المادي ٣. الاتجاه الصوفي

---

[٤٢]. (النساء/١٣٩)
[٤٣]. (البقرة /١٩٧)